فؤاد حمه خورشيد

نظرة في ...

تاريخ الامارة البابانية الكردية

ان ما يبعث على الانشراح في الدراسات العليا هو ان يتناول العديد من الاشقاء العرب موضوعات كردية كعناوين لرسائلهم في الحصول على درجات الماجستير والدكتوراه وبخاصة في حقلي التاريخ والجغرافية والعلوم السياسية. وتبرز من بين هذه الدراسات. رسالة الزميل عبد ربه الوائلي الموسومة (تاريخ الامارة البابانية الكردية ١٧٨٤ – ١٨٥١) التي قدمها الى قسم التاريخ بكلية الاداب في جامعة القاهرة وحصل بموجبها على درجة الماجستير في التاريخ الحديث عام ١٩٧٩ من الجامعة المذكورة، وقد أشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور السيد رجب حراز استاذ التاريخ الحديث هناك، لذا وجدنا من المناسب والمفيد في آن واحد ان نعطي عرضاً ملخصاً لهذه الرسالة للقراء الكرام.

تقع الرسالة في (٢٩٤) صفحة وتضم بين دفتيها خمسة فصول، فضلاً عن المقدمة والتمهيد، والخاتمة وقوائم المصادر والخرائط والفهرست.

يتناول الفصل الاول تنظيمات عشائر السليمانية ص ٣١ – ٦٨، ويبحث الفصل الثاني في قيام الامارة البابانية ص ٦٩ – ١١٦. اما الفصل الثالث فيتطرق الى مدينة السليمانية ص ١١٧ – ١٦٠، وفي الفصل الرابع يدور الحديث عن الامارة البابانية في عهد عبد الرحمن باشا بين عامي ١٧٨٩ – ١٨١٣، ص ١٦١ – ٢١١، ويتناول الفصل الخامس سقوط الامارة البابانية ص ٢١٢ – ٢٦٣.

يقول المؤلف في مقدمته: (حظي تاريخ العراق في عصوره الاسلامية الزاهرة باهتمام كبير من الباحثين والمؤرخين، الا ان تاريخ العراق الحديث بوجه عام والعراق العثماني بوجه خاص لم يحظ بهذا القدر من الاهتمام... فقد تركزت الدراسات التي اجريت حوله على تأريخ بغداد باعتبارها العاصمة ومركز الثقل في البلاد، واعطت انطباعاً بأن تاريخ بغداد هو تاريخ العراق، وهذا انطباع غير صحيح بطبيعة الحال، وادى الى اهمال تاريخ اجزاء البلاد الاخرى).

وتضيف المقدمة انه: (من المعروف ان تدهور السلطة

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم التاريخ

تاريخ الامارة البابانية الكردية

١٧٨٤ — ١٨٥١

بحث مقدم من

عبد الستار ابراهيم الوائلي

لنيل

درجة الماجستير في التاريخ الحديث

اشراف

الاستاذ الدكتور السيد رجب حراز

استاذ التاريخ الحديث

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٧٩م

العثمانية في القرن الثامن عشر وقيام ظروف محلية خاصة بالعراق ، قد شجع على قيام حكم متوارث في كل من بغداد والموصل ، بالاضافة الى ظهور قوى محلية في اجزاء العراق الاخرى ، متمثلة في الاسر القوية المعتمدة على قوتها من جهة ، وعلى مساعدة الغير من جهة ثانية) .

وعليه فأن البحث يتناول : (تاريخ واحدة من تلك القوى المحلية ، وهي الاسرة البابانية الكردية التي تمكنت من حكم المنطقة الشمالية من العراق ما بين اواخر القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر) .

وقد بين الباحث في مقدمته أسباب اختياره لهذا الموضوع الكردى لدراسته العليا – الماجستير وعزاها الى عدة عوامل اهمها :

١ – ان المنطقة الشمالية من العراق ، والامارات الكردية – بصورة خاصة – لم تدرس دراسة وافية .

٢ – موقع الامارة البابانية الجغرافي وما نتج عنه من احداث كبيرة من تعقيدات ومشاكل عن حدود الدولتين العثمانية والفارسية طوال فترة حكم الامارة .

٣ – محاولة الامارة البابانية – في فترة قوتها وتوسعها – الاستقلال عن ولاية بغداد والاتصال مباشرة بالباب العالي في الاستانة .

٤ – تدخل الامارة في شؤون ولاية بغداد وقيام بعض الامراء بالعمل على تعيين بعض الولاة المماليك على ولاية بغداد..

وقد اعطت الدراسة قبل خوضها في مواضيع البحث الرئيسة تمهيداً وخلفية للوضع الذي كان سائداً في شطري العراق الجنوبي والشمالي في العهد العثماني . وخلاصة قوله عن الوضع في العراق الجنوبي ما يلي : (ان اضطراب الاحوال في ولاية بغداد ، والتدخل الاجنبي في شؤون العراق الداخلية ، والهجمات الوهابية ، قد اضعف من سيطرة الولاة والدولة العثمانية في فرض السلطة المركزية على معظم انحاء العراق ، وبالتالي اتيحت الفرصة لظهور أسر كردية قوية في شمال العراق ، استطاعت تكوين امارات كردية قوية ، مستغلة انشغال الولاة باضطراب الاحوال وتثبيت مراكزهم وقد تمكنت تلك الامارات من ادارة شؤون افرادها والمناطق المحيطة بها ، وحاولت الاستقلال النهائي عن سلطة بغداد المركزية ، كالامارة السورانية في راوندوز ، والامارة البابانية في السليمانية) .

اما في العراق الشمالي فأن الباحث يشير في معرض كلامه عن الوضع فيه خلال تلك الفترة قائلا : (كان لتطور النظام) الاقطاعي العشائري الكردي ، دور بارز في نشأة وتطور امارات كردية عديدة في كردستان ، اصبح لها شأن كبير في الاحداث التي وقعت بين الدولتين العثمانية والفارسية خاصة بعد معركة جالديران عام ١٥١٤ م ، وقد استغلت الدولتان وجود تلك العشائر على حدودها ، فاستخدمتها بمثابة حراس حدود بينهما ، وعهدت الى رؤسائها بحكم المناطق النازلة بها عشائرهم) .

ثم يتطرق الباحث الى اهية كردستان وموقعها الجيو ستراتيجي فيقول : (وتشكل كردستان ، بفضل موقعها الجغرافي ممراً استراتيجياً بين بلدان الشرق الادنى ، وكذلك جسراً

اقتصادياً وسياسياً بين الشرق والغرب ، وهي تؤلف جزءاً من مختلف الامبراطوريات التي تعاقبت على الشرق منذ القدم) .

واخيراً يعطي التمهيد خلفية موجزة عن الامارات الكردية كالامارة البهدينانية ، والامارة السورانية ، والامارة الحكارية ، وامارة بوتان ، والامارة الاردلانية ، ومن كل ذلك يستنتج الباحث,استنادا الى الموقع الجغرافي لتلك الامارات والاوضاع السياسية والاجتماعية فيها ، وعلاقاتها مع الامبراطوريتين المجاورتين ما يلي : —

(ان موقع الامارات الكردية بالقرب من حدود الدولتين العثمانية والفارسية قد فرض عليها ان تقوم بحماية العشائر الكردية اللاجئةمن الاراضي الفارسية الى اراضي الدولة العثمانية او العكس ، وفي نفس الوقت ، اعتمدت الامارات الكردية على مساندة قوة العشائر الكردية ضد الهجمات المتوقعة عليها والتي كانت تشنها الجيوش العثمانية والفارسية . وقد استخدم العثمانيون ايضاً فيما بعد قوة تلك العشائر للقضاء على الامارات الكردية . وهكذا لعبت العشائر الكردية دورين متناقضين ، احدهما مؤيد ، والاخر معارض .

وفي الفصل الاول يتناول الباحث تنظيمات بعض عشائر منطقة السليمانية بالبحث كعشائر الجاف وبشدر والبلباس والهاوند والهورامان ، كما انه يعطي وجهة نظره بالعشيرة الكردية قبل ان يتناول تلك التنظيمات فيشير الى ان (العشيرة الكردية عبارة عن وحدة سكنية سياسية تشتمل على طبقتين منفصلتين لا ترتبطان برابطة النسب وانما يربطها المكان ، كما لا ترتبط طوائف الطبقة العامة بروابط النسب وهذا النموذج للعشيرة الكردية ، يعد في الحقيقة مثال التأثير العامل الجغرافي . فمن المعلوم ان المنطقة الكردية وعرة التضاريس وذات شتاء قارص ، وقد ادت صعوبة المواصلات — لا سيما اثناء فصل الشتاء الطويل ، أدت الى فرض حالة من العزلة على القرية الكردية وأدت هذه العزلة الى سياسة الاكتفاء الذاتي في الحقل الاقتصادي ، والى ميل نحو «المحلية» في العلاقات الاجتماعية .

وقد عمقت النزعة المحلية العلاقات بين ابناء القرية الواحدة ، وزادت من متانتها روابط القرابة والمصاهرة) .

ولعل من المفيد ان نلقي نظرة على كيفية تعرض الباحث للتنظيمات العشائرية ، فعندما تكلم عن تنظيمات عشيرة الهاوند نجده يتطرق الى تاريخ العشيرة وعلاقتها بالبابانيين وفروعها وتنظيماتها السياسية فيقول : (لقد قدم الهاونديون العون والمساعدة لامراء البابان ، وقاتلوا العثمانيين من اجلهم . ففي سنة ١٧٨٧ م حاربوا جيش والى بغداد سليمان باشا الكبير المرسل لمحاربتهم ، كما أيدوا عبد الرحمان باشا بابان (١٧٨٨ — ١٨١٣ م) في ثوراته من اجل استقلال كردستان ، ووقفوا الى جانب سليمان باشا بابان (١٨٢٧ — ١٨٣٨ م) ضد الامير السوراني محمد باشا الراوندوزي ! وفضلاً عن ذلك ، فقد دخلوا في معركة مع والي بغداد نجيب باشا (١٨٤٢ — ١٨٤٧ م) بالقرب من كويسنجق تاييداً لاحمد باشا بابان) . ثم يتطرق الباحث الى فروع عشيرة الهاوند والى تنظيماتها السياسية وتقاليدها .

وفي الفصل الثاني يتناول الباحث موضوع قيام الامارة البابانية والى اثر العاملين الجغرافي والاقتصادي في قيامها فيشير الى اهمية موقع الامارة الجغرافي بين الدولتين العثمانية والفارسية ، فقد نمت من امارة صغيرة الى امارة يحسب لها الحساب من قبل الدولتين ، اما استمرار الصراع فيما بين الامراء وفيما بين الامارة والدولتين فقد ادى الى تأخر الحالة الاقتصادية بعد ذلك يتطرق الباحث الى حكم الاسر البابانية الاربعة الاولى والى علاقة السلطان سليمان القانوني بتلك الاسر ، اما بخصوص الاسرة البابانية الخامسة يقول المؤلف ان «أبرز الاشخاص الذين نسب اليهم تأسيس الامارة الخامسة ، بعد نهاية الأسر السالفة الذكر هو الفقيه احمد الجد الاكبر لامراء البابان الاكراد ، والفقيه احمد هو ابن كاكه شيخ ابن بوداق بك» .

اما عن قوة الامارة البابانية فأن الباحث يشير الى ان قوة الامارة البابانية بدأت تظهر ، حين تسلم بابا سليمان عام ١٦٦٩م منصب ولاية البابان ، بعد وفاة الفقية احمد . وتعتبر ولايته

بداية تاريخ منطقة السليمانية الحديث حيث تمكن من وضع اسس الامارة البابانية . ويشرح المؤلف ايضاً الوضع المأساوي داخل الامارة المتأتي من الصراع الداخلي بين ابناء الامراء ومن توالي مؤامراتهم على بعضهم البعض ، ثم يشير : (لقد عمل العثمانيون وولاتهم وبكل الوسائل على وضع اسس الشقاق والعداء بين الامراء البابانيين واصبحت هذه سياستهم تجاه الاكراد عامة والبابانيين خاصة ، وذلك لأن قوة الامارة البابانية وهي اقوى امارات كردستان في بداية القرن التاسع عشر معناه اضعاف سيطرتهم على العشائر الكردية لذلك نراهم يعملون على بذر بذور الخلاف بين الامراء انفسهم) .

وفي الفصل الثالث – مدينة السليمانية – يتطرق الباحث الى عدة مواضيع منها مراكز امارة بابان قبل انتقالها الى السليمانية . . دار شمانه – مێرگه – ماوەت – قلاچوالان . ويضيف (ان بقاء قلعة چوالان عاصمة للأمارة طوال هذه الفترة ١٦٧٠ –١٧٨٤ م قد شجع الامراء والوجهاء والعلماء والاغنياء على تشييد القصور والدور والمساجد والمدارس كما شيدت الكثير من الابنية الحكومية فاصبحت قلعة چوالان مدينة للعلم والعلماء) .

اما عن انتقال عاصمة الامارة من قلعة جوالان الى السليمانية فأن الباحث يشير الى انه بعد ان تسلم ابراهيم باشا منصب الامارة شرع في تغيير موقع عاصمته وقرر نقله الى موقع تتوفر فيه شروط افضل للحياة ، وبما ان هناك عوامل عديدة ، اقتصادية او اجتماعية او عسكرية او ادارية تلعب دوراً هاماً في نمو المدن وتطورها غير انه يمكن اعتبار العامل الاداري هو السبب المباشر لبناء مدينة السليمانية عام ١٧٨٤ م .

ويشير المؤلف الى ان المؤرخين اختلفوا في أصل تسمية السليمانية ، ويعرض جميع وجهات النظر ، لكنه يرجح الرأي القائل بان الاسم ينسب الى اسم والي بغداد انذاك سليمان باشا الكبير ، ولا ندري لماذا يتجاهل الكتاب والمؤرخون اسم بابا سليمان الذي تمكن من وضع اسس الامارة البابانية ووسع حدودها والتحق بها العديد من المقاطعات عن تولية الامارة عام ١٦٦٩ م . اليس من المعقول جداً ان يكون ابراهيم باشا باني مدينة السليمانية قد سمى هذه المدينة باسم جده الاكبر بابا سليمان ؟

اما اسباب اختيار موقع السليمانية لبناء المدينة فيشير الباحث الى ان اختيار البابانيين لمنطقة السليمانية يعود الى (كون الموقع معروف لديهم ، وانه من السهول الكبيرة والتي لها مجال للتوسع من جميع الجهات ويشهد بذلك التوسع العمراني الحالي للمدينة ولما كانت الجبال تحيط بتلك السهول ، فقد كانت من العوامل التي لعبت دوراً كبيراً في اختيار منطقة السليمانية ، وهي تحدها من الشمال والشرق ، فاصبحت بذلك سداً منيعاً ضد الاعداء ، وخاصة الفرس الذين كانوا يتدخلون في شؤون الامارة باستمرار . وفي الجنوب يقع مضيق دربندخان ، وكثرة الينابيع والعيون المتوفرة في المنطقة كانت من العوامل المساعدة على اختيارها لانشاء مدينة السليمانية بجوارها) .

وبعد ان يستعرض الباحث جميع الذين كتبوا ووضعوا وزاروا المدينة يقول (وعلى اية حال ، ومهما اختلفت الاراء حول وصف مدينة السليمانية من حيث عدد بيوتها او سكانها ، فأن ابراهيم باشا بابان الذي تولى الامارة البابانية عام ١٧٨٣ م ، قد خلد ببنائه هذه المدينة تذكارا للأمة الكردية عامة ، والبابان بصورة خاصة ، وبما بذله من الجهود في سبيل تقدم المدينة من الوجهة العمرانية) .

اما الفصل الرابع من الرسالة فيتناول وضع الامارة البابانية في عهد عبد الرحمن باشا – ١٧٨٩ – ١٨١٣ م . فيقول الباحث لقد (دخلت كردستان مرحلة خطيرة بظهور عبد الرحمن

باشا بابان على المسرح السياسي والعسكري . فبعد تسلمه منصب الامارة عام ١٧٨٩ م ، بدأ بالتخطيط لمستقبل الامارة البابانية اولاً ، ومستقبل الامة الكردية ثانيا ، ولتحقيق هدفه هذا ، عمل على تحسين علاقته مع حكام الدول المجاورة وبخاصة من كان يسند منهم الامارة كي يقفوا الى جانبه في حالة تعرض امارة ومنصبه الى مضايقة الجيش العثماني .

ثم يشير الى قوة وسطوة الامارة في هذه الفترة من تاريخها فيقول (ان الامارة البابانية وصلت الى اوج قوتها وتوسعها في عهد عبد الرحمن باشا ، الذي حاول الحصول على منصب باشوية بغداد ، بعد ان اصبح شاغراً بعد وفاة واليها المملوكي ، الا انه فشل . ومن ثم عمل على ان تكون له الكلمة في تسيير شؤون ولاية بغداد ، فتوسط لتعيين احد المماليك اللاجئين اليه وهو عبد الله باشا . وفعلاً بعد ان تسلم عبد الله باشا منصبه ، بدأ عبد الرحمن باشا يتصرف وكأنه الوالي .)

اما بشأن ثورات ومعارك عبد الرحمن باشا الهادفة الى استقلال الامارة البابانية وتكوين كيان كردي مستقل يشير الباحث الى ان (عبد الرحمن باشا قد دخل في عدة معارك وقام بثورات ، كانت كلها من اجل حصول كردستان على الاستقلال ، غير انه فشل في تحقيق ما سعى اليه ، بسبب العوائق التي وقفت في طريقة ، واهمها الداء الذي ابتلت به الامارة البابانية وهو خيانة احد اعضاء الاسرة البابانية للامير البابانى الحاكم ووقوفه الى جانب حكومة بغداد او كرمنشاه) .

اما الفصل الخامس فقد كرسه الباحث للحديث عن سقوط وانهيار الامارة البابانية عام ١٨٥١ م . فبعد ان يستعرض ضمن الفصول الاربعة السابقة تفاصيل واحوال الامارة يشير الباحث الى العوامل والمسببات التي ادت الى انهيار هذه الامارة الكردية فيقول : —

«لم يكن سقوط الامارة البابانية امراً عابراً ، بل كان نتيجة عدة عوامل اجتمعت ، فأدت الى ذلك . وقد تمثلت تلك العوامل في النظام الاقطاعي الكردي الذي كان سائداً آنذاك في كردستان والذي عمل على عرقلة توحيد الشعب الكردي ، وجمع شمل الامارات الكردية تحت لواء دولة كردية واحدة قادرة على الدفاع عن نفسها وصد الهجمات الاجنبية او ابعاد الوطن الكردي – على الاقل – عن خطر ودمار الحرب التي كانت قائمة بين الدولتين العثمانية والفارسية .

ومن ناحية اخرى كان التنافس الدائم بين امراء البابانيين ولجوئهم الى بغداد تارة ، واخرى لفارس ، وجلبهم الجيوش الى السليمانية لاستعادة مناصبهم ،قد سبب الخراب والدمار للامارة . وعلاوة على ذلك فأن مرض الطاعون الذي اجتاح المنطقة الكردية مرات عديدة قد حصد اعداداً كبيرة من السكان ، مما انهك قوة الامارة في الناحية البشرية والعسكرية والاقتصادية) .

اضافة الى ما تقدم فأن الباحث يعطي سبباً جوهرياً آخر من اسباب سقوط الامارة عام ١٨٥١ م وهذا العامل يتركز في (ظهور عائلة دينية كردية نافست البابانين على السلطة في مدينة السليمانية في الايام الاخيرة من حكمهم وهذه الاسرة هي البرزنجية الكردية) .

وفي الخاتمة يعطي الباحث خلاصة مركزه لاوضاع الامارة ذاكراً اهم سلبياتها ومعوقات تقدمها وبقائها فضلاً عن اشادته بجهود مآثر البابانيين خلال فترة حكمهم ووجدنا في الختام ان نشير الى ما ذكره هو بهذا الصدد :

(وبالرغم مما اصاب الامارة البابانية من خراب وتدمير ، نتيجة لما شهدته من حروب متوالية ، بين افراد الاسرة البابانية انفسهم ، او بين الامارة ومن حولها ، الا ان الامراء البابانيين

كان لهم جانب مشرق يتمثل في مساهمتهم في البناء الحضاري والثقافي فقد قاموا باعمال جليلة لخدمة العلماء ورجال الدين وعوضوا امارتهم عما اصابها في الحروب بأن انفقوا اموالاً كثيرة في بناء المدارس والمساجد والانفاق عليها واصلاح ما أصابها ، فضلاً عن ان بعضهم اوقف على المدارس ، والمساجد كثيراً من الاراضي والضياع من ممتلكاته الخاصة للانفاق على تلك المدارس وعلى الاسر الدينية) ثم يضيف (وبالرغم من الجهود التي بذلها بعض الامراء البابانيين في الحفاظ على استمرار حكم اسرتهم الا ان علامات تدهور هذه الاسرة كانت تسير متوازية مع حكمها فصراع الامراء على تولى منصب الامارة ، قد انهك قواها وجعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها في الوقت الذي كانت فيه الامارة السورانية تنمو وتتسع وتحاول فرض سيطرتها على كردستان) .

والخلاصة . . ان رسالة الاستاذ عبد ربه الوائلي عن الامارة البابانية علامة مضيئة في حقل الدراسات الكردية رغم بعض الهفات الثانوية التي اعترضت بعض مواضيعها ، فقد اخفق الكاتب في موضوع أصل الاكراد ص ١٦ – ١٧ ، وكانت مصادره فقيرة في ذلك ، وان كان هذا الوضوع يعد ركناً ثانوياً من اركان رسالته ، كما انه لم يفلح في تغطية التنظيمات العشائرية الكردية ، والتي فصلها الاستاذ فردريك بارث في كتابه (اسس التنظيمات الاجتماعية في كردستان الجنوبية) وهو أحد المصادر التي اعتمدها في بحثه مما يدل على أنه لم يطلع اطلاعاً كافياً ودقيقاً على هذا المصدر .

مع ذلك فقد كان الاستاذ عبد ربه من خلال سطور رسالته باحثاً اميناً ، وكاتباً صادقاً ، سلط من خلالها الاضواء على مختلف جوانب الحياة في الامارة البابانية ، فجاءت الدراسة متكاملة شاملة انارت زاوية من زوايا التاريخ الكردي الحديث .

من ذكريات عن الحرب

بقلم : صبري بوتاني

مقدمة :

على الرغم من صدور عدد من الكتب والدراسات لمؤلفيها الأكراد وغير الأكراد وبلغات شتى عن دور الشعب الكردي ووضعه في الحرب العالمية الأولى ، وفي مقدمة تلك الكتب ، المؤلف القيم لمؤرخنا الفاضل الدكتور كمال مظهر أحمد والموسوم بـ (كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى) . على الرغم من ذلك فأن موقع الشعب الكردي ودور المحاربين الأكراد في تلك الحرب الرهيبة وكذلك موقع كردستان فيها ، لم يشبع الى الآن تعليقاً وبحثاً وتدويناً يضاهي في الختام الدور والموقع الحساس للشعب الكردي في تلك الحرب ، لاسيما أذا علمنا أن معظم الأكراد وقتذاك ، كانوا يعيشون في إطار الدولة العثمانية وأن الأكثرية الساحقة من الملايين الكردية كانت ولا تزال تعيش في كردستان تركيا ، تركيا موطن ومركز الدولة العثمانية البائدة . وإذا علمنا أن الدولة العثمانية كانت تشكل طرفاً من الأطراف الرئيسة في الحرب العالمية الأولى . وأن تلك الحرب لم تنشب إلاّ لكي تقتسم الأطراف الأستعمارية الأخرى المشاركة في الحرب ممتلكات هذه الدولة التي كانت تسمى بالرجل المريض ، لأدركنا أنذاك خطورة وأهمية دور وموقع الكرد وكردستان في أحداث تلك الحرب . وما الأهمية الكبيرة التي أولتها كل من روسيا القيصرية